

الفصل الأول

- العوامل المؤثرة في مراكز التجارة الداخلية في المغرب
الإقصى مراكش - فاس - سبتة - طنجة - سجلماسة -
أنمات وريكة

▪ عوامل جغرافية

▪ عوامل سياسية

▪ عوامل اجتماعية

- وسائل النقل واهم الطرق الداخلية (برية - نهرية -
بحرية)

العوامل المؤثرة في مراكز التجارة الداخلية

في المخرب الأقصى

• عوامل جغرافية :

قد تؤثر تأثيراً مباشراً في مراكز التجارة الداخلية والخارجية ، حيث يلعب الموقع الجغرافي للمدينة دوراً أساسياً في التجارة والحركة الاقتصادية، ويؤثر موقع المدينة على نشاطها التجاري.

• مدينة مراكش (١) :

كان اختيار موقع مدينة مراكش قاعدة لدولة المرابطين ثم من بعدهم لدولة الموحدين أثره في التجارة، فاختيارها عاصمة للدولة ساعدها عن موقعها الجغرافي، فقد ذكر عماد الدين إسماعيل أبو الفداء صاحب حماة في تقويم البلدان : " مراكش محدثة بناها يوسف بن تاشفين في صحراوية وجلب إليها الماء وأكثر الناس فيها البساتين فكثر وخمها ولا يكاد الغريب يسلم فيها من الحمى ، وجنوبي مراكش جبل درن وشمالها سلا وغربيها البحر المحيط وشرقيها الجهات التي بين سجلماسة وفاس، ودور مراكش (مساحة مراكش) سبعة أميال (١٢.٩٨٥ كم) ولها سبعة عشر باباً وحرها شديد وهي في شمال أغمات بميلة يسيرة إلى الغرب وبينهما نحو خمسة عشر ميلاً (٢٧.٨٢٥) (٢) ". وقد ذكرها صاحب (الاستبصار في عجائب الأمصار) وابن أبي زرع في روض القرطاس : " مدينة مراكش كلاًها الله هي اليوم حاضرة بلاد

(١) مراكش : معناها بالبربرية أسرع المشي . ياقوت الحموي : معجم البلدان ٩٤/٥ . ومراكش بفتح الميم وتشديد الراء وفتحها وألف ساكنة ثم كاف ثم شين بعده ، أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٣٤ . وقد ضبط هذه الكلمة صاحب كشف الظنون : مراكش بضم الميم وفتح الراء المشددة بعدها ألف وبعد الألف كاف مكسورة ثم شين معجمه . العباس بن إبراهيم التعارجي السملالي قاضي مراكش: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ، المطبعة الملكية، الرباط ، ١٩٧٤م ، ج ١ ص ٨٣ .

(٢) أبو الفداء : المصدر السابق ، ص ١٣٥ . الميل : ١.٨٥٥ كم عند الحنفية والمالكية (علي جمعة : كتاب المكايل والموازين الشرعية ص ٢٠ - ٧٠)

المغرب ودار مملكتها ، وهى مدينة عظيمة في بسيط من الأرض وأسسها يوسف بن تاشفين سنة تسع وخمسين وأربعمائة^(١) . واستولى عليها الخليفة أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على سنة ٥٤١هـ . وعلى ثلاثة أميال (٥٠.٥٦٥ كم) منها وادي نهر تانسيفت منبعه من بلد أغمات هيلانة ، ويصب في وادي أغمات وريكة ، ووادي نفيس . ومصب النهر في ساحل رباط قوز علي المحيط ... وبينها وبين جبل درن نحو العشرين ميلا (٣٧.١ كم) ، وهى كثيرة الزرع والضرع ، محراثها دكالة (تمدها بالزراعة) ، وجنتها نفيس (تمدها بالفاكهة) ، وحولها من البساتين والجنات التي يسمونها البحائر لعظمتها مالا يحصى كثرة ، وإنما بناها واضعها ليملك منها جبل درن لكثرة من يعمره (من قبيلته)^(٢)

ومدينة مراكش اليوم (في عصر دولة الموحدين) من أعظم مدن الدنيا بهجة وجمالاً بما زاد فيها: الخليفة الإمام عبد المؤمن بن على وخليفته يوسف ابن عبد المؤمن وخليفتهما يعقوب^(٣) . وقد زاد الخليفة يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن مدينة أخرى تقارب الأولى في قبيلتها وكانت بحائر عظيمة فبناها قصوراً وجامعاً وأسواقاً وفنادق وجلب التجار إلى قيسارية عظيمة لم يبنى في مدن الإسلام أعظم منها ، وأمر بعمارته أول سنة خمس وثمانين وخمسائة .

ومدينة مراكش أكثر بلاد المغرب جنات وبساتين وفواكه وجميع الثمرات، وكانت قبل ذلك يطير الطائر حولها فيسقط من العطش والرمضاء ، وأكثر شجرها

(١) العباس بن إبراهيم : نفس المرجع ، ج ١ ص ٥٧ .

يذكر ابن أبي زرع : ان يوسف ابن تاشفين اشترى موضع تأسيس مدينة مراكش من كان يملكه من المصامدة سنة ٤٥٤هـ فسكن الموضع وبنى فيه مسجداً للصلاة وقصبة صغيرة لآخزان أمواله وسلاحه ولم يبنى علي ذلك سور . ولم يكن بها ماء فحفر الناس بها آبار يخرج لهم الماء علي قرب فاستوطنها الناس ولم تزل كذلك لاسور فلما ولي بعده ولده بني سورها في ثمانية أشهر . ثم أصقل في بنائها ومصانعها أمير المسلمين يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدى أيام ملكه بالمغرب ، ولم تزل مراكش دار مملكة المرابطين ثم الموحدين من بعدهم ... (ابن أبي زرع : روض القرطاس ص ١٧٥) لقد اختلف في تأسيس مدينة مراكش بين ٤٥٩ هـ ، ٤٧٠ هـ (ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٥ ص ٩٤ ، الإدريسي : نزهة المشتاق ، ج ١ ص ٢٣٣) وسنة ٤٥٢ هـ ، و ٤٦٣ هـ ، و ٤٧٥ هـ ، و ٤٨٠ هـ (العباس بن إبراهيم : نفس المصدر ، ج ١ ص ٦١)

(٢) العباس بن إبراهيم : المصدر السابق ، ص ٥٧ - ٥٨

(٣) العباس بن إبراهيم : المصدر السابق ص ٥٨ .

الزيتون وفي مراكش من الزيتون والزيت ما تستغني به عن غيرها من البلاد وتمير بلاداً كثيرة وكان زيتها قبل اليوم دهن من الهرجان^(١) . لأنه بتلك البلاد كثيراً جداً ، وزيتون مراكش أكثر من زيتون مكناسة ، وزيتها أرخص^(٢) .

• مدينة فاس :

تتمتع مدينة فاس بموقع هام حيث تقع عند النقطة التي يتقاطع عندها محوران ، رئيسيان أحدهما يمتد من الشمال إلى الجنوب يربط البحر المتوسط ومدن الجنوب ، والآخر هو المحور الذي يربط بين ساحل المحيط الأطلسي والمغرب الأوسط^(٣) فضلاً عن سيطرته على واد سبو .

ويصفها اليعقوبي بقوله : " انه يدخل إلى المدينة العظمى التي يقال لها افريقية علي النهر العظيم الذي يقال له فاس بها يحيى بن يحيى بن إدريس بن إدريس وهي مدينة جليلة كثيرة العمارة والمنازل ومن الجانب الغربي من نهر فاس وهو نهر يقال انه أعظم من جميع أنهار الأرض عليه ثلاثة آلاف رحي تطحن (الحبوب)^(٤) .

(١) تعريب كلمة أركان البربرية ، وهو نوع من الزيتون البري الذي يوجد بكثرة في تلك الجهات . : (العباس بن إبراهيم : نفس المصدر . ج ١ ص ٥٩)

(٢) العباس بن إبراهيم : نفس المصدر السابق ص ٥٩ .

(٣) عماد الدين إسماعيل صاحب حماة أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٢٣ ،

ويشير بعض المؤرخين أن موقع مدينة فاس كان مدينة قديمة أسست في العصر الروماني لتكون مركزاً تجارياً وأنها ليست مستحدثة

(Blacher(R):Fes chez les Geographes Arabs de Moyen Age, Paris , F.18

pp 41-49.)

ويذكر ابن أبي زرع قصة اليهودي الذي كان يحفر أساس داره بالمدينة فوجد تمثالا من الرخام لجارية وقد نقش عليه عبارة " هنا موضع حمام عمرة ألف سنة ثم خرب فأقيم موضعه بيعه للعباد " (ابن أبي زرع : روض القرطاس ص ٣٨)

وقد اختلفت المصادر في ذكر سبب تسميتها بهذا الاسم ، فمرة يعزونه إلى فأس وتشير إلى أن الإمام حين كان يعمل مع الصناع صنع له فأساً من ذهب ، وآخرون يرون أنها ترجع لأن فأساً كبيراً وجدت عند حفر الأساس . (ابن أبي زرع : المصدر السابق ص ٤٥ ، الجزائى : جنى زهرة الأس في بناء مدينة فاس ص ٢٤ ، ابن الأبار : الحلة السراء . جزءان ، تحقيق حسين مؤنس ، دار المعارف ، الطبعة (٢) ، القاهرة ١٩٥٨ ص ٥٥)

(٤) أحمد بن يعقوب بن راضح الكاتب المعروف باليعقوبي : كتاب البلدان ، اعتناء دي خوية ، مطبعة بريل ، ليدن ١٨٩٢م ص ٣٥٧- ٣٥٨ .

وكان لموقع فاس المتوسط أثره في أن تكون مركزاً لنشاط تجاري بين شرق المغرب وغربه وشماله وجنوبه ، وكانت من أهم المدن التجارية المغربية على الطريق إلى بلاد السودان^(١) .

• سبتة :

ساعد موقع سبتة الجغرافي على نشاطها التجاري ، فهي تقع في الشمال من المغرب الأقصى وتطل على البحر المتوسط ، والذي يعد أكثر نقط المضيق قرباً من العدو الشمالية (الأندلس) وقد حوت المدينة ثلاثين مرسى من أهمها مرسى المدينة المعروف بحفرة مختار^(٢) . وقام هذا الميناء بدور في الحركة التجارية إذ كانت القوافل تصل إليه من جميع بلاد المغرب خاصة من مدينة فاس^(٣) . وبذلك أصبح أهم مراكز التجارة الدولية .

وميناء سبتة من أشهر الموانئ المغربية ومن المرافئ التي تخرج منها وترد إليها معظم التجارة الخارجية ... كما يعد هذا الميناء طريقاً هاماً للقوافل المتجهة إلى غانة والسودان الغربي^(٤) (تسير القوافل من سبتة الي فاس ثم الي سجلماسة ثم الي بلاد السودان لتجارة الذهب) .

• طنجة :

ترجع أهمية طنجة كمركز تجاري لوقوعها على طريق التجارة بين المغرب الأقصى والأندلس ، فهي ميناء بحري له أهمية كبرى في المغرب الأقصى يقول عنها ياقوت الحموي : " طنجة بلاد على ساحل المغرب مقابل الجزيرة الخضراء على ظهر جبل بينها وبين القيروان ألفا ميل (١٨٥٥ كم)^(٥) . بينها وبين ميناء سبتة ثلاثون

(١) الإدريسي : نزهة المشتاق ج ١ ص ٢٤٦ ، البكري : المغرب ص ٨٨ .

(٢) البكري : المغرب ، ص ١١٤-١١٥ ، مارمول كرفجال : أفريقيا ج ٢ ص ٢١٦ ، عيسى بن الذيب : التجارة في عصر المرابطين ٤٨٠-٥٨٠ هـ / ١٠٥٦-١١٤٥ م ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م ، ص ١١٨ .

(٣) محمد بن القاسم الانصاري السبتي : اختصار الأخبار عما كان يثغر سبتة من سنى الآثار ،

تحقيق عبد الوهاب بن المنصور ، ط ٢ ، الرباط ، ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٣ م ، ص ١٥٦

(٤) أمين توفيق الطيبي : النشاط الاقتصادي والعلمي بمدينة سبتة المغربية في القرن ٨ هـ / ١٤ م ، مجلة البحوث التاريخية ، منشورات مركز دراسة جهاد الليبية ، العدد ٢ يوليو سنة ١٩٨٢ م ،

ص ٢٩٢ .

(٥) ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤/٤٣

ميلاً (٥٥٠.٦٥ كم) في البر وفي البحر نصف مجرى^(١) . وقد ساعد موقع طنجة عند المحيط على البحر المتوسط عند مضيق جبل طارق ان تكون ميناء هام.

وقد ذكرها عماد الدين إسماعيل أبو الفداء بقوله " مدينة طنجة على فم بحر الزقاق " واتساع البحر عندها ثلث مجرى فإذا شرق عنها اتسع عن ذلك^(٢) . ويذكرها الاضطخري بقوله : " طنجة كورة عظيمة تحيط بمدن وقرى وبوادي ومدينتها (عاصمتها) فاس"^(٣).

• سجلماسة :

تعتبر مدينة سجلماسة مدينة تجارية هامة حيث تربط بين تجارة المغرب الأقصى وتجارة بلاد السودان ، وذلك لموقعها في جنوب مدن المغرب الأقصى ، وبداية الصحراء الفاصلة مع بلاد السودان فكانت مركزاً لنقل التجارات بين السودان وبلاد المغرب^(٤) . ويذكرها الإدريسي بقوله : مدينة سجلماسة مدينة كبيرة كثيرة العامر وهي مقصد للوارد والصادر ...^(٥) فمن أراد الدخول إلى بلاد سلى وتكرور وغانة من بلاد السودان^(٦) فلا بد له من هذه المدينة^(٧) .

(١) الحميري : الروض المعطار ص ٣٩٥- ٣٩٦ ، البكري : المغرب ص ١٠٥- ١١١

(٢) أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٣٣ ، البحر الزقاق: البحر الضيق ، المعجم الوجيز ص ٤٨٤

(٣) الاضطخري : مصدر سابق ، ص ٣٤

(٤) البكري : المغرب ص ١٧٢- ١٧٤- ١٧٥ ، أبو الفداء : مصدر سابق، ص ١٣٧ ، الحبيب

الجنحاني : المجتمع العربي الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية، عالم المعرفة، الكويت،

رقم ٣١٩ لسنة ٢٠٠٥ م ، ص ١٥٩

(٥) الإدريسي : نزهة المشتاق ج ١ ص ٢٢٥ .

(٦) سلى وتكرور : (في السنغال) على طريق قوافل من بلدان المغرب عبر الصحراء الكبرى ،

أولها الطريق الذي طريق يحاذي ساحل المحيط وينتهي في السنغال (تكرور وسلى) .

(الحميري : الروض المعطار ص ١٢٦ ، مؤلف مجهول : الاستبصار ص ١٧٨)

غانة : من بلاد السودان بينها وبين سجلماسة مسيرة شهرين ، وهي مدينتان على ضفتي البحر

الحو اهدما يسكنها الملك والأخرى يسكنها الرعية والتجار والسوقة ، وتعتبر من أكبر بلاد

السودان قطراً ، وأكثرها خلقاً وأوسعها متجراً ، واليها يقصد الميسير من جميع البلاد المحيطة

بها من سائر بلاد المغرب الأقصى ، و أهلها مسلمون .

(الحميري : مصدر سابق ص ٢٢٥- ٢٢٦) .

(٧) الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٢٥ .

• أغمات^(١) :

كان لموقع مدينة أغمات الجغرافي أثره في التجارة ، فمدينة اغمات قرب مراكش (العاصمة) بثلاث فراسخ (٩ أميال) (١٠.٤٤٨ كم) في سفح جبل ، وهي مدينتان متقابلتان كثيرة الخير ومن ورائها إلى جهة البحر المحيط السوس الأقصى بأربع مراحل (١٧٨.٠٠٨ كم) ، ومن سجلماسة ثمان مراحل (٣٥٦.١٦ كم) في بحر المغرب ، وليس بالمغرب ، فيما زعموا ، بلد أجمع لأصناف من الخيرات ولا أكثر ناحية ولا أوفر حظاً ولا خصباً منها^(٢) .

ومدينة أغمات شمال جبل درن ، وهي كانت حاضرة البلاد قبل بنيان مراكش ، وهي من أقصى المغرب ، قال ابن سعيد أيضا كانت ملك أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين قبل أن يختط مراكش وبينها^(٣) .

• الوضع السياسي في مدينة مراكش :

الوضع السياسي من العوامل المؤثرة في الحركة التجارية ، وذلك له تأثير مباشر على مراكز التجارة . فإنشاء مدينة مراكش كان عامل سياسي ، حيث حرص يوسف بن تاشفين أن يتخذها لعسكره وللتمرس بقبائل المصامدة المقيمة بمواطنهم منها في جبل درن ، إذ لم يكن في قبائل المغرب اشد منهم قوة ولا أكثر جمعا ، ولما جاءت دولة الموحيدين ، وكان منهم يعقوب المنصور الشهير الذكر ، اعتنى بمدينة مراكش واحتفل في تشييدها وبالغ في تنمية مساجدها^(٤) .

وظلت مراكش محل عناية الموحيدين ولهذا ففي الوقت الذي كانوا يجهزون فيه على أثار المرابطين بها كانوا يعوضون ذلك بالبحيرات والبساتين والمباني^(٥) .

(١) أغمات : مدينتان سهليتان إحداهما تسمى أغمات ايلان والأخرى أغمات وريكة وبها سكن رئيسهم ، وبها ينزل التجار والغرباء ، وأغمات ايلان لا يسكنها غريب ، وبينهما ثمانية أميال .

(البكري : المغرب ص ١٥٣ ، علي جمعة : المرجع السابق ص ٣١ - ٧٠)

(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ١/ ٢٢٥ .

(٣) أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٣٥ .

(٤) العباس بن ابراهيم : الإعلام بمن حل مراكش ... ج ١ ص ٨٣ .

(٥) عبد الملك محمد بن أحمد بن ابراهيم بن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالإمامة مع المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين ، السفر الثاني (استخرجه من مخطوط اكسفور عبد الوهاب التازي ، دار الاندلس ، بيروت ، ١٩٦٤م ، ص ٢٦٦) =

وفي العصر الأول لدولة الموحيدين من ٥٤١ / ٦١٠ هـ وضع الأساس عبد المؤمن بن علي ثم ابنه يوسف بن عبد المؤمن حيث كانت تجبى الأموال من الخراج دون مغارم ولا جور فكثرت الأموال وأمنت الطرقات وكان يتفقد أحوال مملكته لا يعتمد على أحد من وزرائه^(١) .

ففي سنة ٥٧٩ هـ قام الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بمحاسبة عبد الرحمن بن يحيى المشرف على فاس ، لما علم بظلمه للرعية ، وعدم أمانته في حكمه على المدينة . وكذلك لخازن بيت المال الذهبي ، ولخازنه على الطعام الطرحوقي . وأيضاً محاسبة مشرف مكناسة وابن هود عاملها وابن عمر صاحب المدينة بها . وأيضاً المشرف برباط تازا . ومحاسبة صاحب ملوية علي بن مرزبن ، وقاضي المعدن ، وغير هؤلاء . فاستأصل أموالهم ورد للمخزن (بيت المال) ضياعهم ورباعهم ، وترك لكل رجل منهم داراً واحدة ، وأن يردوا أربعمئة ألف دينار ، وستين ألفاً يقسطونها على أنفسهم وشد العدول بذلك عليهم فجعل عليهم الرقباء حتى دفعوا المال المذكور^(٢) .

وكانت أيام المنصور يعقوب بن يوسف، زينة الدهر والأمن في جميع عمله، حتى أن الظعينة^(٣) تخرج من برقة إلى آخر المغرب لا يتعرض لها أحد^(٤) .
ويجلس الخليفة للمظالم وأغلب الدعاوى من السوق والتجار ، وهذا يتضح مع كثرة نشاط التجارة تزداد طلب حقوق أصحاب البضائع من التجار^(٥) .

= ويذكر ابن خلدون : " إذا بنيت المدينة وكمل تشييدها بحسب نظر من شيدها ... فعمر الدولة حينئذ عمر لها . فان كان عمر الدولة قصيراً وقف الحال فيها عند انتهاء الدولة وتراجع عمرانها وخربت ، وان كان أمد الدولة طويلاً ومدتها منفسحة ، فلا تزال المصانع فيها بشداد والمنازل الرحبية تكثر وتتعدد ، ونطاق الأسواق يتباعد وينفسح " .

(ابن خلدون : المقدمة ، المجلد الأول ص ٦١٠ ، دار الكتاب اللبناني ، لبنان ١٩٨٣ م .)

(١) ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار أفريقية وتونس ص ١٤٠ - ١٤١ ، دار المميرة .

(٢) ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب ، قسم الموحيدين ص ١٥٨

(٣) الظعينة: الدابة يرتحل عليها. (ج) طعائن. (المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م ، ص ٤٠٠) .

(٤) ابن أبي دينار : المصدر السابق ص ١٤١ .

(٥) ابن عذارى المراكشي : البيان ، قسم الموحيدين ص ١٧٤

وفى عهد الناصر ، آخر ذلك الثبوت من الخلفاء الموحدين الذين اقترنت بعصرهم بعض الأحداث الضخمة الحاسمة^(١) (انتصاره علي ابن غانية وهزيمة في موقعة العقاب من الأسباب النصاري) .

وفى عام ٦٠٧هـ - ١٢١٠م ، شب حريق كبير بقيسارية بمراكش ، والناس راقدون في مضاجعهم (ليلاً) ، وشبت النار أولاً في القيسارية ، وانتشرت بسرعة ، وأتت على الحي كله ، فهب الناس مذعورين من نومهم ، وكثر الصراخ والاستغاثة ، ونهض الخليفة الناصر على الضجيج وغادر قصره مسرعاً ، واعتلى صومعة الجامع ليشهد تغلغل النار .

واقترح الغوغاء كثيراً من الدروب ، وسلبوا ما استطاعوا سلبه مما سلم من الحريق ، واستمر الحريق حتى صباح اليوم التالي ، وقد أتى على كثير من أحياء المدينة . وأمر الناصر في اليوم التالي بتتبع السفلة الناهبين ، واسترداد ما يمكن استرداده منهم ، فقبض على كثيرين من هؤلاء وأعدموا على الأثر وهلك في تلك النكبة كثير من الأموال والدور . وافترق كثير من ذوى اليسار ، وفقدوا دورهم واثرواتهم ، وأمر الناصر بأن يعاد تشييد الأحياء المحترقة بأحسن مما كانت عليه^(٢) .

وفى العصر الثاني من دولة الموحدين ٦١٠/٦٦٨ هـ في بداية حكم يوسف المستنصر بن الناصر، وظهور طلائع بني مرين ٦١٣هـ / ١٢١٦ م . تولى أمير المؤمنين أبو محمد عبد الواحد (المخلوع) ٦٢٠هـ ، وبعد شهرين قام عليه أبو محمد العادل والى مرسية .. وانفتح باب الفتن بين الموحدين .

ثم تولى أمير المؤمنين المأمون (أخو العادل) وهو أول من أدخل جيش النصاري إلى مراكش مستنصراً بهم ودخل معه اثني عشر ألف نصراني (لمحاربة أشياخ الموحدين لبيعهم ليحيي بن الناصر في مراكش) .

ثم تولى أبناه عبد الواحد الرشيد بن إدريس المأمون ٦٣٠هـ وفى زمانه وقع وباء وغلاء مفرط بحيث بلغ قفيز (٢٤٤٨ كيلوجرام) القمح ثمانين ديناراً .

(١) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس عصر الموحدين ، ج ٥ ص ٣٢٥ ، مكتبة الأسرة .

(٢) ابن عذارى المراكشي : البيان ، قسم الموحدين ص ٢٥٧

وتولى المعتضد أبو الحسن علي بن إدريس ٦٤٠هـ وفي أيامه كثر جمع بني مرين وقتله الخليفة الموحد السعيد علي أبو الحسن . ثم تولى المرتضى بعد موت السعيد وكانت أيامه دعه وهناك . ودخل عليه أبو دبوس فقتله^(١) . ثم تولى إدريس بن الرشيد (أبو دبوس) واتفق مع يعقوب بن عبد الحق المريني أن يعطيه النصف فيما يغلب عليه من البلاد ... وقتل في الحروب (أبو دبوس) ، وانقرضت دولة بني عبد المؤمن^(٢) .

وبعد انهيار دولة الموحدين لم يبق في مراكش مأهولا سوى قصر الحكم وقصر الرماة . ويسكن في القصر الأخير حجاب الملك وسائقو بغاله . أما البقية فقد تحولت إلى مأوى لأسراب الحمام البري والغربان واليوم وطيور أخرى من هذا القبيل . وخسرت مراكش شهرتها القديمة وظلت مهددة بغارات الأعراب في كل مرة يرفض السكان فيها إرضاء أي رغبة من رغباتهم^(٣) .

• الوضع الاجتماعي في مدينة مراكش :

وقد سكن مدينة مراكش عالية القوم ، فقد ذكر الإدريسي مدينة مراكش في عصر المرابطين بقوله: "... واتصلت بذلك عمارات مراكش وحسن قطرها منظرها ومدينة مراكش في هذا الوقت من أكبر مدن المغرب الأقصى لأنها كانت دار إمارة لمتونة (المرابطين) ومدار ملكهم وسلك جميعهم وكان بها أعداد قصور لكثير من الأمراء ، والقواد وخدام الدولة، وأزقتها واسعة ورحابها فسيحة ومبانيها سامية وأسواقها مختلفة وسلعها نافقة"^(٤)

وعندما تولى المصامدة أي (الموحدون) يذكر الإدريسي أيضا أنهم أكملوا ما بدأه المرابطين من توصيل الماء ، فيقول : " وكان علي بن يوسف قد جلب إلى مراكش ماء من عين بينها وبين المدينة أميال ولم يستتم ذلك فلما تغلب المصامدة على الملك وصار لهم وبأيديهم تمموا بطلب ذلك الماء إلى داخل المدينة ..."^(٥)

(١) ابن أبي دينار : المؤنس ص ١٤٩-١٥٠-١٥١-٢٤٦-٢٤٧-٢٤٨-٢٤٩

(٢) الحسن الوزان : وصف أفريقيا ج ١ ص ١٤٦

(٣) الحسن الوزان : نفس المصدر ج ١ ص ١٤٧

(٤) الإدريسي : نزهة المشتاق ج ١ ص ٢٣٤

(٥) الإدريسي : نفس المصدر ص ٢٣٤

فقد قام عبد المؤمن بن علي ببناء مسجداً جامعاً غير جامع المرابطين الذي هدمه وغرس البساتين حول مراكش ، وجلب لها الماء من أغمات وحفر الآبار والعيون ، وعظم إنتاج هذه البساتين من الفواكه^(١) . أما في عهد يوسف بن عبد المؤمن فقد أمر في سنة ٥٧٩هـ بتوسعة مدينة مراكش وهدم سورها الأول وإقامة سور آخر ، حيث تفاخروا في سكانها بحسب القدرة منهم والإمكان ، فصارت أوسع البلاد معاشاً وأكثرها خلقاً وأرباحها تجارة ، فضاقت بالناس فلم يجدوا موضعاً للبناء ولا محلاً للسكنى ، حيث أمر أبو يعقوب يوسف قبائل هسكورة وصنهاجة أن يرتحلوا من بلادهم إلى سكانها بأهلهم وبنينهم فامتنلوا ، فاشتكوا من ضيق المدينة ، فنظر أمير المؤمنين ومعه شيوخ الموحديين وعرفاء البنائين كيف يتم اتساع المدينة ؟ فاتفق رأيهم على زيادة المدينة من جهة القبلة بجهة باب الشريعة^(٢) .

وقد انتشر الطاعون في المغرب والأندلس لمدة عام سنة ٥٧١هـ ، وقد قضى على الكثيرين من السكان وعلى بعض زعماء دولة الموحديين منهم أربعة من أبناء عبد المؤمن ، وقد أصيب الخليفة نفسه وأخوه السيد أبو حفص عمر ، ولكنهما شفيا من المرض . وقد قضى على الكثيرين من أهل مراكش وضاق المصلى بالموتى ، فأمر الخليفة بأن يصلى عليهم في عامة مساجد مراكش . ونتيجة لهذا الوباء الفاظف . خيم جو من الكآبة والحزن على مراكش الزاهر ، ولم يعد يخرج منها أحد أو يأتي وافد إليها . وكان لهذا الوباء الذي فتك بالكثير من أهل المغرب والأندلس أثره في أضعاف المعنويات ، وفي قلة الأيدي العاملة ، وتعطل التجارة ، وتوقف الحياة الزراعية والصناعية ، وقد ترتب على ذلك أزمة اقتصادية حادة كانت ذات أثر مادي ومعنوي سيئ على الرعية^(٣) .

وفي عهد المنصور " عظمت المملكة، وضاقت مراكش بسكانها فأخنطت الصالحة، وحشد لها العرفاء والصناع وكل من شهر بالإتقان ، وحدقت مساكنها بالتكسير وأرضى بالتعويض من كان له بها شيء صغير أو كبير... وأوعز إليهم وأكد عليهم ألا ينشئوا شيئاً من البنيان إلا فوق الغاية من الوثاقة والإتقان ، فأقبلوا على العمل من

(١) عصام الدين عبد الرؤف الفقى : تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٦٩

(٢) ابن عذارى المراكشي : البيان ، قسم الموحديين ص ١٥٣-١٥٤

(٣) على محمد الصلابي : إعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحديين ص ١١٨-١١٩ ،

مراجع عقيلة : سقوط الموحديين ص ١٢٩

غير ملل ولا كلل مواصلين مساءهم بصباحهم ... حتى كملت على أحسن الهيئات
فصارت مراکش مصر الأمصار و غاية الفخامة و ارتفاع المقدار (١) .

وقد أمر المنصور بقطع لباس الغالي من الحرير، والاحتزاء منه، بالرسم الرقيق
الصغير، ومنع النساء من الطرز الحفيل، وأمر بالاكْتفاء منه بالساذج القليل، وأمر
بإخراج ما كان في المخازن من ضروب ثياب الحرير والديباج المذهب فبيعت منه
نخائر لا تحصى - بأثمان لم توف ولم تستقص - ثم أمر أصحاب الشرطة بقطع الملهين
والقبيض على من شهر من المغنين فتقف من وجد منهم بكل مكان - فغيروا هيئاتهم
وتفرقوا على الأوطان - وبارت سوق القيان، وزهد كل الزهد في هذا الشأن (٢).

وصارت مراکش تضاهي بغداد في العظم بكثرة الرؤساء والعلماء والأدباء (٣).
وكل قصر من قصور مراکش مستقل بالديار والبساتين والحمامات والاصطبلات
والمياه وغير ذلك حتى أن الرئيس منهم كان يغلق بابه على جميع خوله وأقاربه وما
يحتاج إليه ولا يخرج من بابه إلى خارج حارة لحاجة يحتاجها (٤). وكانت مراکش في
مستوى اجتماعي مرتفع لسكنى عليه القوم، فيها أربعة وعشرون حماماً، وأفرانها
سنة وستون فرناً، وأسواقها كثيرة منظمة مجموعة في وسط المدينة بحيث تغلق
عليها أبوابها وتبقى وحدها منفردة مشتملة على الحرف المهمة والسلع التي تجبى إليها
من كل قطر، وفيها ما يشد عن الحصر مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين مع رخص
أسعارها (٥).

• الوضع السياسي في مدينة فاس :

لقد جاء تمام تخطيط فاس على يد الإمام إدريس الثاني جاء على مرحلتين (١).

(١) ابن عذارى المراكشي : نفس المصدر ص ١٧٤

(٢) ابن عذارى المراكشي : نفس المصدر ص ١٧٤

(٣) العباس بن إبراهيم : الإعلام بمن حل مراکش ... ج ١ - ص ٩٣

(٤) أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي : صيغ الأعي في صناعة الإنشاء، طبعة المطبعة

الأميرية، القاهرة، ١٩١٥م، ج ٥ ص ١٦١، العباس بن إبراهيم : المرجع السابق ج ١ ص

(٩٩)

(٥) العباس بن إبراهيم : نفس المرجع ج ١ ص ٩٨

(٦) مؤلف مجهول : رسالة في ذكر من أسس فاس، ورقة ٤٥-٥٠، الجزئاني : جني زهرة

الأس في بناء مدينة فاس ص ٣٤-٣٥، البكري : المغرب ص ١٢٣، ابن أبي زرع :

روض القرطاس ص ٣٨

المرحلة الأولى : يطلق عليها عدوة الأندلسيين التي شرع الإمام في بنائها في غرة ربيع الأول ١٩٢ هـ . أما المرحلة الثانية : بدأت في مستهل ربيع الثاني سنة ١٩٣ هـ ويطلق عليها عدوة القرويين^(١). وكان اختطاط مدينة فاس كغيره من اختطاط المدن الإسلامية يسير وفق منهج إسلامي يكون المسجد فيه هو مركز المدينة ومحورها وأول ما يختط بها^(٢). ولما كان السوق من متطلبات الجماعة الإسلامية فقد خصص الإمام إدريس الأرض المجاورة لكل مسجد من العدوتين لتكون سوقاً لكل منها^(٣).

وقد قرر كل من اليعقوبي والمقدسي وجود مدينتين منفصلتين إلا أنهما لم يقدمتا معلومات وافية عن نشأة هاتين المدينتين . وكذلك فإن الإدريسي الذي ألف كتابه في القرن السادس الهجري وان كان يتحدث عن مدينتين منفصلتين رغم أن المدينتين اتحدتا في مدينة واحدة قبل ذلك بعشرات السنين . وقدم المؤرخ المغربي ابن أبي زرع مؤلف روض القرطاس أدق رواية عن هذا الموضوع ، فقد اعتمد عليه كل من الجزنائي في زهرة الآس ، وابن القاضي في جذوة الاقتباس .

ولقد ظلت مدينة فاس مزدهرة ، ذات شأن حتى أنها وصلت في عهد المرابطين والموحدين إلى درجة كبيرة من الازدهار لم تصل إليه مدينة مغربية من الرفاهية والرخاء والأمن^(٤).

فأصبحت فاس في عصر المرابطين تسمى لدى شيوخ هذه الدولة (بيغداد المغرب) غير أن المرابطين آثروا عليها مراكز لقبها من بلاد المصامدة ، وصحراء لمتونة فلهذا السبب كانت مراكز كرسي المملكة ، وإلا فمدينة فاس أحق

(١) قام إدريس الثاني بتنظيم خطط المدينة فأنزل العرب القيسية بإزاء الأسوار الجنوبية من عدوة القرويين . أما قبائل البربر من زناتة ولواتة ومغيلة وصنهاجة فقد نزلت كل منها بحياها ولم تحدد المصادر مواضعها أو مكان جماعة من الفرس من أهل العراق قد قدموا على إدريس الثاني فضلا عن اليهود الذين نزلوا المدينة في ناحية أعلن إلى باب حصن مسعدون حيث بنو الحوانيت . وحين قدمت قبائل الأندلس على الإمام إدريس الثاني بعد أن أوقع بهم الحكم بن هشام وأجلاهم إلى المغرب سعدوا إلى مدينة فاس فأنزلهم العدو التي نسبت إليهم (عدوة الأندلسيين) . (ابن أبي زرع : روض القرطاس ص ٤٦ ، مجهول : رسالة في ذكر من أسس فاس . ورقة ٧ .)

(٢) الجزنائي : جني زهرة الآس ص ٣٣ .

(٣) مجهول : رسالة في ذكر أسس فاس ص ٢١ .

(٤) الجزنائي : نفس المصدر السابق ص ٣٨ .

بذلك منها" (١) . فكان من التطورات التي حدثت للمدينة في عصر المرابطين هو توحيدها إداريا ، فأصبح جامع القرويين هو الجامع الرئيسي بفاس . كما شهدت فاس في العصر المرابطي حركة عمرانية واسعة في عدوة القرويين بصفة خاصة ، نظرا لاكتظاظها بالسكان " وضاق جامع القرويين بالمصلين حتى كان الناس يصلون في الأسواق والشوارع المحيطة بالجامع" (٢) .

وظلت فاس العاصمة الثانية لدولة المرابطين حتى تصدعت دولتهم وتغلب عليهم الموحدون . وسقطت فاس في أيدي الموحدين سنة ٥٤٠هـ (٣) .

ولقد اهتم الموحدون بفاس في عهد حكمهم اهتماما خاصا ، لا سيما زمن الناصر الذي أقام بفاس سنة ٥٩٥هـ الي سنة ٥٩٨هـ ، وبني قصبتها وأسوارها التي كان ضرب جده عبدالمؤمن حين دخلها (٤) ، وراجت صناعتها وحرفها وانتشرت الأسواق بالمدينة وارتبطت بالطرق التجارية . فعن طريق فاس كان يتجهز التجار إلى بلاد السودان وإلى المشرق وكان يحمل منها النحاس الأصفر إلى جميع الأفاق (٥) .

- الوضع الاجتماعي في مدينة فاس :

تميزت كل من عدوتي فاس بطابع خاص يعكس سمات سكانها ، فعدوة الأندلسيين التي أنزل فيها جميع أجنادة وقواده ، وجعل بها جميع كسبه من الخيل والابل والبقر والغنم بأيدي ثقافته . ولم ينزل معه بعدوة القرويين غير مواليه وحشمه وسائر رعيته من التجار والصناع والسوقه (٦) . وقد وصفها الإدريسي : "فاس قطب ومدار لمدن المغرب الأقصى ، ويسكن حولها قبائل من البربر ولكنهم يتكلمون العربية ، وفاس هذه حضرته الكبرى ويقصدها الأشهر ، وعليها تشد الركائب واليها تقصد القوافل ويجلب إلى حضرته كل غريب من الثياب والبضائع والأمتعة الحسنة

(١) المراكشي : المعجب ص ١١٩ - ١٢٠

(٢) الجزائى : جني زهرة الأس ص ٣٨

(٣) ابن أبى زرع : روض القرطاس ص ١٨٩ .

(٤) ابن عذارى : البيان ، القسم الموحدى ، ص ٢٦٥ ، ابن أبى زرع : روض القرطاس ص ٢٤٢ ،

الناصرى : الاستبصار ج ١ ص ١٩١ ، مصطفى أبو ضيف أحمد : اثر القبائل العربية في تاريخ

المغرب خلال عصر الموحدين والمرينيين ، رسالة ماجستير ، جامعة الاسكندرية ، ١٩٧٥ م ،

ص ٩٩-١٠٠

(٥) مجهول : الاستبصار ص ١٨١

(٦) ابن أبى زرع : روض القرطاس ص ٥٥

وأهلها مياسير ولها من كل شئ حسن اكبر نصيب وأوفر حظ"^(١). وقد قدم صاحب الاستبصار شهادة مؤرخة سنة ٥٨٧هـ في بداية عهد المنصور ذكر فيها: "وقاعدة بلاد المغرب مدينة فاس .. هي أعظم مدينة من مصر إلى آخر بلاد المغرب . ومدينة فاس مدينتان كبيرتان يشق بينهما نهر كبير يسمى بوادي فاس يدور عليها سور كبير، ومدينة فاس اليوم في نهاية العمارة والصلاح"^(٢). وتميزت فاس برونقها ونظافتها وقد وصف ابن حوقل شوارعها في القرن الرابع الهجري بقوله: "في كل يوم يرسل في أسواقها ، وشوارعها من نهرها الماء فتغسل " كما يشير إلى رصف شوارعها"^(٣). وكانت هناك القناطر العديدة التي تربط بين عدوتى القرويين والأندلسيين"^(٤).

ومع اكتفاء سكان فاس بالسلع الأساسية المتوفرة في مدينتهم ، فإن الأسواق كانت تمتلئ بأنواع المتاجر التي تأتي بها القوافل القادمة من مدن المغرب المختلفة، وفي ذلك يقول الجزنائي: " انه انتقل إليها جملة من أصناف الناس، وأهل الأمصار من جميع البلدان القاصية والدانية فليس من أهل بلد ولا إقليم إلا ولهم بها منزل ومتجر وصناعة ومنصرف ، واجتمع فيها ما ليس في مدينة من مدن الدنيا ، وأنتها التجارات ، وأهل الصناعات من كل صقيع حتى تكامل بها كل متجر"^(٥). فصارت المدينة تعج بالتجار من مدن المغرب المختلفة الذين اتخذوا في أسواقها متاجر يصرفون فيها بضائعهم وسلعهم ". ووصفها ابن سعيد بأنها: " دار مملكة يقصدها الناس من جميع الأقطار ، واليها يجلب من جميع الأقاليم كل شيء حسن من المتاع والسلع الغالية الأثمان من اليمن والسودان والشام والأندلس"^(٦).

(١) الإدريسي : نزهة المشتاق ج ١ ص ٢٤٦

(٢) مجهول : الاستبصار ص ١٨٠

(٣) أبو القاسم محمد بن علي البغدادي بن حوقل: صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٨٩، ١١٥.

(٤) البكري : المغرب ص ١١٥ - ١١٦

ويذكر ابن خلدون: " فأما أن يكون لضواحي تلك المدينة وما قاربها من الجبال والبساتين بادية يمدّها العمران دائماً ، فيكون ذلك حافظاً لوجودها ، ويستمر عمرها بعد الدولة كما تراه بفاس وبجاية من المغرب ". (ابن خلدون : المقدمة ج ١ ص ٦١٠)

(٥) الجزنائي : جني زهرة الأس ص ٣٩ ، جمال أحمد طه : فاس في عصري المرابطين والموحدين ، دراسة سياسية حضارية ، دار الوفاء ، الاسكندرية ، ٢٠٠١م ، ص ٢٣٥

(٦) علي بن سعيد بن موسى (ابن سعيد) : كتاب الجغرافيا ، تحقيق اسماعيل العربي ، بيروت ، ١٩٧٠م، ج ١ ص ١١٤

• الوضع السياسي والاجتماعي على مدن سبتة وطنجة :

فمدينة سبتة وطنجة تقعان في شمال المغرب الأقصى وهي مدن حدودية بحرية هما ميناءين على البحر المتوسط ، يربط المغرب الأقصى بالأندلس وأوروبا والمشرق الإسلامي . فميناء سبتة من أشهر الموانئ المغربية ومن المرافئ التي تخرج منها وترد إليها معظم التجارة الخارجية ، فكان يقصده تجار المدن الإيطالية خاصة تجار مدينة جنوه ، حيث كان يوجد لهم في سبتة سبع فنادق ، كما يعد هذا الميناء طريقاً هاماً للقوافل المتجهة إلى غانة والسودان^(١) .

ونظراً لكل هذه المميزات ، فإن تجار سبتة كانوا من أغنى تجار المغرب — ويظهر ذلك في وصف ابن سعيد للمدينة فيقول : " بين بحرين وهي ركاب البرين ، شبه الإسكندرية في كثرة الحط والإقلاع ، وفيها التجار الأغنياء الذين يبتاعون المركب بما فيه من بضائع الهند وغيرها صفقة واحدة لا يحوجون صاحبها للنقاضي^(٢) " .

فقد تميز المغرب الأقصى بساحلين البحر المتوسط والمحيط الأطلسي ، وقد ساعدت هذه الموانئ على الاتصال بالعالم الخارجي وفي زيادة النشاط التجاري ، فكان التجار يحملون الذهب والصمغ من السودان إلى أسواق الأندلس ، ومنها إلى أوروبا وحوض البحر المتوسط^(٣) .

وكانت السفن التجارية على اختلاف أحجامها تتردد بين موانئ المغرب الأقصى وبين المرية^(٤) . ووضعت بعض الأسس لتأمين طرق التجارة حتى لا يقع اعتداء على التجار أو أموالهم^(٥) .

-
- (١) أمين توفيق الطيبي : مرجع سابق ، ص ٢٩٢
(٢) ابن سعيد: كتاب الجغرافيا ص ١٣٩ ، أحمد بن يحيى بن فضل الله (العمرى): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٢م، ص ١٣٧
(٣) البكري : المغرب ص ١٥٨
(٤) المرية : مدينة أندلسية محدثة البناء أنشأها الخليفة عبد الرحمن الناصر في سنة ٢٤٤هـ / ٩٥٥م ، وقدر لهذه المدينة الأندلسية أن تلعب دوراً هاماً في تاريخ الأندلس ، فقد كانت المركز الأول للتجارة البحرية مع أقطار البحر المتوسط . فيقول عنها ابن عذارى : " قد أمن التجار بأموالهم وقصد إليها الناس من أقطارهم . (ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب ج ١ ص ١٢٤ ، الحميري : الروض المعطار ص ٥٢٨)
(٥) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٦٩م ، ص ١٧٢-١٧٣

• الوضع السياسي والاجتماعي لمدين سجلماسة وأغمات :

أما مدينة سجلماسة : فهي ميناء صحراوي فهي مقصد للصادر والوارد ، في جنوب المغرب الأقصى في طرف بلاد السودان .. وأهل هذه المدينة من أغنى الناس وأكثرهم مالا لأنها على طريق من يريد غانة التي هي معدن الذهب ولأهلها جراحة على دخولها^(١) .

أما مدينة أغمات : فهي مدينة تجارية مع بلاد السودان ، فأهلها أملياء (أغنياء) تجار مياسير يدخلون إلى بلاد السودان بأعداد الجمال ... وفي عصر المرابطين لم يكن أحد أكثر منهم أموالا ولا أوسع منهم أحوالا وبأبواب منازلهم علامات تدل على مقاديرهم وذلك أن الرجل منهم إذا ملك أربعة آلاف دينار يمسكها مع نفسه وأربعة آلاف يصرفها في تجارته أقام على يمين يابه وعن يساره عرصتين من الأرض إلى السقف . وبنيانهم بالأجر الطوب والطين أكثر ، فإذا مر الخاطر بدار ونظر إلى تلك العرص مع الأبواب قائمة عدها فيعلم من عددها كم مبلغ مال صاحب الدار .. وفي عصر الموحيين تجار أملياء مياسير أغنياء لهم نخوة واعتزاز لا يتحولون عنه ...^(٢)

وكانت هناك علاقات تجارية بين المغاربة وأهل السودان فقد سكنت أسر مغربية في مدن السودان مؤقتا ، أو بصفة دائمة . فقد كانت الجالية المغربية تشمل إلى جانب التجار ، فقهاء وقضاة ومدرسين ومقرئين وطلبة وخطباء ، وحتى رجال الأدب والشعراء والمهندسين^(٣) . كانا يمثلان شركتهما العائلية بولاته^(٤) .

(١) الإدريسي : نزهة المشتاق ج ١ ص ٢٢٥ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ١٩٢/٣

(٢) الإدريسي : نزهة المشتاق ج ١ ص ٢٣٢-٢٣٣

(٣) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٤٠٦ ، عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي : تاريخ السودان ، نشر هوداس ، باريس ، ١٩٦٤م ، ص ٢٠-٢١ ، محمد الشريف : الجالية المغربية ببلاد السودان الغربي (ق ٨هـ / ١٤م) مجلة التاريخ العربي ، عدد ١٤ ، ربيع سنة ٢٠٠٠م ص ٢٠٤

(٤) هم أولاد يحيى بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن القرشي المقرئ ، وكانوا خمسة رجال ، فعقدوا الشركة بينهم في جميع ما ملكوه أو يملكونه على السواء بينهم والاعتدال ، فكان أبو بكر ومحمد بتلمسان ، وعبد الرحمن وهو شقيقهما الأكبر بسجلماسة ، عبد الواحد وعلى وهما الشقيقان الصغيران بإيوالاتن فاتخذوا بهذه الأقطار المزارع والديار ، وتزوجوا النساء ، واستولدوا الإماء ، وكان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السلع ، ويبعث إليه الصحراوي بالجلد

وكانت هناك علاقات وصدقات بين السكان المحليين و التجار المغاربة، حيث تزوج البعض منهم ، بينما اتخذ البعض الآخر - الذي كان كثير الانتقال بين المغرب وبلاد السودان - الجواري .- ولقد تعلم المغاربة اللسان السوداني : يذكر الحسرن الوزان أنه مع انتشار الإسلام بالسودان ، "بدأ تجار بلاد البربر حينئذ يذهبون إلى هذه البلاد ليتاجروا فيها حتى تعلموا لغاتهم" (١) . وكان مما شجع على إقبال التجار المغاربة على هذه التجارة وجود أعداد كبيرة منهم في المغرب الأقصى (٢) . كما صارت البلاد ممراً أمنياً لتجار الصحراء (٣) .

وكانت التجارة بين المغرب والسودان قائمة على نطاق واسع ، فيذكر ابن حوقل : " ولقد رأيت بأودغست (٤) صكاً في ذكر حق لبعضهم على رجل من تجار أودغست ، وهو من سجماسة باثنين وأربعين ألف دينار ، وما رأيت ولا سمعت بالمشرق لهذه الحكاية شبيهاً ولقد حكيتها بالعراق وفاس وخراسان فاستطرفت" (٥) .

وكانت المراكز التجارية تتأثر بعلاقة الدولة الموحدية مع جيرانها وبقوة الدولة الموحدية وضعفها في الحركة التجارية فقد تأثرت بظروف الدولة السنياسية ، وما تتعرض له من أحوال سياسية تؤثر تأثيراً مباشراً على هذه المراكز التجارية .

والعاج والجوز والتبر ، والسجماسي كلسان الميزان يعرفهما بقدر الخسران والرجحان ويكاتبهما بأحوال التجار وأخبار البلدان ، حتى اتسعت أحوالهم وزادت أموالهم . (المقري : نفع الطيب ج ٥ ص ٢٠٥) .

- (١) الحسن الوزان : وصف أفريقيا ج ٢ ص ١٦٢
- (٢) العمري : مسالك الأبيصار ص ١٣٤-١٣٥
- (٣) مؤلف مجهول : الاستبصار ص ١٨١
- (٤) أودغست : تقع منحرفة محاذة عن السوس الأقصى كأنها مع سجماسة مثلث طويل الساقين أقصر أضلاعه من السوس إلى أودغست . وتفصل عن سجماسة مسيرة شهرين . (يساقوت الحموي: معجم البلدان ١/٢٧٧)
- (٥) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٩٦ ، الأمين عوض الله : تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي ص ١٦٩

وسائل النقل وأهم الطرق الداخلية

(برية - نهريّة - بحرية)

كان لاستقرار الأحوال السياسية والاقتصادية في الدولة الموحدية عاملاً مشجعاً للتجارة ولتنقل التجار ، فقد قام خلفاء دولة الموحدين بإجراءات لتأمين المسالك والطرق ، وبإقامة مراكز للحراسة وتموين المسافرين والتجار ، وانتشر الأمن في جميع الأعمال ، حتى أن الطعينة تخرج من برقة إلى آخر المغرب ولا يتعرض لها أحد^(١) .

• النقل البري :

توفرت وسائل النقل التي تناسب حجم المبادلات التجارية ، سواء داخل المدن أو لنقل البضائع لعموم بلاد المغرب والبلاد المحيطة . وقد استعمل المغاربة الدواب لنقل البضائع ، وهو ما نجد صداه في أدب النوازل والحسبة^(٢) . فيما ورد بها من استغلال البهائم في نقل السلع كمن يبيع جزءاً من دابته لما يحفظها ويشاركه فيها^(٣) . أو من يدفع دابته إلى أجير بنصف ما يكتسبه بها من الأجرة والربح . والشراكة في البهائم وكراء الدواب واستعمالها في غير الوجوه المنفق عليه^(٤) . ويتضح من هذه النوازل أن الدواب كانت من أدوات النقل الأساسية في نقل التجارة .

وقد تأثرت وسائل النقل المستخدمة بتخطيط المدن حتى تناسب الطرق والممرات عند استعمالها . فكانت شوارع مراكز واسعة^(٥) . ويحدثنا روجية لوطورنو عن فاس بقوله : " كان التنقل داخل مدينة فاس ذات الشوارع المنتظمة ، إلا أنها لم تكن

(١) ابن أبي دينار : المؤنس ص ١٤١ ،

(٢) محمد فتحة : النوازل القبيية والمجتمع ، أبحاث في تاريخ المغرب الإسلامي من القرن ٦ - ١٢/١٥٠م ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، اندار البيضاء ١٩٩٩م ص ٣٠٩

(٣) أحمد بن يحيى الوئشريسي : المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقيا والاندلس والمغرب ، إشراف محمد حجي وآخرون ، دار الغرب الاسلامي ، ط ٣ ، بيروت ، ١٩٨١م ، ج ٥ ص ٢٠٣

(٤) الوئشريسي : المعيار المعرب ، ج ٥ ص ٩٣-٢٤٤-٢٧٢ ، ج ٨ ص ١٨١-١٨٢-١٩٥-٢٧٩-٢٨٣

(٥) الإدريسي : نزهة المشتاق ج ١ ص ٢٣٤

الزقاق : الطريق الضيق دون السكة ، أما الشارع : فهو الطريق الأعظم الذي يشرع فيه الناس عامة أي يفتح فيه الناس أبوابهم وشرع الباب الي الطريق اي أنفذه اليه وشرع الباب والدار شروعا أفصي الي الطريق (ابن منظور : لسان العرب)

تشبه الشوارع العريضة المستقيمة التي عرفتها المدن الرومانية .. وكان الرجال يحملون المتاحر أو تنقل على دواب من الحمير أو البغال أو الخيول. ومن ثم فلم تكن هناك ثمة حاجة إلى شرايين المرور الواسعة فكان يكفي أن يتسع الشارع لمرور دابتين محملتين^(١) .

• الطرق البرية في المغرب الأقصى :

ارتبطت مدن المغرب الأقصى بشبكة طرق برية كانت مراكز مركزاً لهذه الطرق حيث أنها قاعدت دولة الموحدين ، وربطت هذه الطرق مدن المغرب الأقصى بالعاصمة . ولهذا مهد الموحدون الطرق^(٢) وذلك لخدمة التجار والجيش منذ بداية قيام دولة الموحدين^(٣) .

- الطرق من مدينة مراكش إلى مدن المغرب الأقصى الشمالية :

(١) طريق رئيسي من مدينة مراكش إلى مدينة فاس يقدر بمسيرة عشرة أيام (٤٤٥.٢ كم)^(٤). ثم يستمر حتى مدينة سبتة على البحر المتوسط ويقدر طوله بمسيرة ستة أيام (٢٦٧.١٢ كم)^(٥).

وقد استخدم الخليفة الموحدى يوسف بن عبد المؤمن أبو يعقوب (٥٥٨-٥٨٠ هـ / ١١٦٣-١١٨٤ م) هذا الطريق ، حيث خرج من مراكش من باب دكالة إلى

(١) روجيه لوطورنو : فاس في عصر بني مرين ، ترجمة نيقولا زيادة ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٦٧ م ، ص ٤٦ .

(٢) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ص ٣٨٩ وما يليها .

(٣) البيدق : أخبار المهدي ص ١١٣ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١١ ص ١٥٩ ، مقلد الغنيمي : موسوعة تاريخ المغرب العربي ، دراسة في التاريخ الاسلامي ، مكتبة المدبولي ، ج ٣ ص ٢٦٧ ، عز الدين أحمد موسى : النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري ، دار الشروق ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ص ٢٧٢

(٤) أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٢٣

(٥) وقد قدرت المسافة بين فاس وسبتة بمسيرة عشرة أيام وثمانية أيام و ست أيام .

(أبو الفداء : المصدر السابق ص ١٢٣ ، الإدريسي : نزهة المشتاق ج ٢ ص ٥٣١-٥٣٢ ، البكري : المغرب ص ١١٥ ، قدرها بستة أيام .)

مدينة سلا ، ثم لمدينة مكناس ، ثم لمدينة فاس ، ثم لمدينة سيّة ، عندما اتجه للأندلس سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م^(١) .

- (٢) طريق من مدينة مراكش لمدينة سلا يقدر بعشرة أيام (٤٤٥.٢ كم)^(٢) .
- (٣) طريق من أغمات إلى الشمال الشرقي إلى مدينتي (داي وتادلة) أربعة أيام (تقدر ١٧٨.٠٨ كم) وبين داي وتادلة مرحلة (تقدر ٤٤٥.٢٠ كم)^(٣) .
- (٤) طريق من مدينة مراكش إلى (ميناء) مرسى فضالة على ساحل المحيط الأطلس شمال غرب مدينة مراكش تقدر مسافته بثلاث مراحل (تقدر ١٣٣.٥٦ كم) يمر على قرية أم الربيع^(٤) .
- (٥) طريق من مدينة مراكش إلى جهة الغرب لمدينة اسفي على ساحل المحيط الأطلسي تقدر مسافته بأربعة أيام (تقدر ١٧٨.٠٨ كم)^(٥) .

(١) ابن أبي زرع : روض القرطاس ص ٢١٣ . ويذكر الإدريسي عن هذا الطريق يبدأ الخروج من مراكش إلى قرية نونين تقدر بمرحلتين ثم لقرية تيقطين بمرحلة ، ثم لقرية غفسيق بمرحلة ، ثم لقرية أم الربيع بمرحلة ، ثم لقرية ايغيسل بمرحلة ، ثم لقرية أنفال بمرحلة ، ومنها لقرية مقول مرحلة ، ثم لقرية اكسيس مرحلة صغيرة ، ثم لمدينة سلا مرحلة " (الإدريسي : مصدر سابق ج ١ ص ٢٣٦ - ٢٣٩) والمرحلة : تقدر بـ ٤٤.٥٢٠ كم تقطع في يوم عند الحنفية والمالكية ، (علي جمعة : المرجع السابق ص ٧٠)

(٢) أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٢٩

(٣) داي : شمال شرق مدينة أغمات أسفل جبل خارج من جبل درن ، ومدينة داي مدينة صغيرة لكنها عامرة والقوافل عليها صادرة وواردة .

تادلة : إقليم شاسع يبتدئ من نهر العبيد وينتهي عند نهر أم الربيع كما ينتهي جنوباً بين جبال الأطلس شمالاً في المكان الذي يلتقي فيه واد العبيد ونهر أم الربيع وتمثل هذه الناحية تقريباً شكل مثلث ... وهي مدينة قديمة أزلية فيها آثار للأول ، بني الملمثون (المرابطين) وفيها حصناً منيعاً هو الآن معمور وفيه الأسواق والجامع ، والبلد كله كثير الخيرات الأرزاق أحاطت به القبائل من جميع الجهات، وهي بلد أحمد بن عبد السلام الجراوي الشاعر ، يقال انه مدح عبد المؤمن بن علي وولده يوسف وولده يعقوب وولده محمداً الناصر ومات عام العقاب ، وهو عام تسعة وستمئة .

(٤) الإدريسي : نزهة المشتاق ج ١ ص ٢٤١ ، الحميري: الروض المعطار ص ١٢٧ ، الإدريسي:

نفس المصدر ج ١ ص ٢٣٧ ، الحسن الوزان : وصف أفريقيا ج ١ ص ١٧٦

(٥) أبو الفداء : نفس المصدر السابق ص ١٣٠

- ٦) طريق يربط مدينة سبتة بمدينة طنجة يقدر بمرحلتين (تقدر ٨٩.٠٠٤ كم) ، حيث يبدأ من سبتة إلى مدينة قصر عبد الكريم بمرحلة (٤٤.٥٢٠ كم) ، ومن قصر عبد الكريم إلى مدينة طنجة مرحلة^(١) (٤٤.٥٢٠ كم) .
- ٧) طريق من مكناس إلى قصر عبد الكريم الواقعة في شمال نهر اولكس ، وبين قصر عبد الكريم والبحر المتوسط ثلاثة أميال (٥٦٥.٥ كم) ، تقدر مسافة هذا الطريق بثلاثة مراحل^(٢) (١٣٣.٥٦ كم) .
- ٨) طريق من مكناس إلى مدينة سلا على المحيط الأطلسي يقدر بأربعة مراحل (١٧٨.٠٨ كم)^(٣) .
- ٩) طريق من مدينة فاس إلى مدينة مكناس يقدر بأربعين ميلاً (٧٤.٢ كم)^(٤) .
- ١٠) طريق من مدينة فاس إلى الشرق لمدينة تلمسان في المغرب الأوسط يقدر بعشرة أيام^(٥) (٤٤٥.٢ كم) .
- ١١) طريق من مدينة فاس إلى مدينة سجلماسة في جنوب المغرب الأقصى مباشرة وتقدر مسافة هذا الطريق بين عشرة مراحل (٤٤٥.٢ كم) (البكري)^(٦) ، وثلاثة عشر مرحلة (٥٧٨.٧٦ كم) (الإدريسي)^(٧) .

- طرق من مدينة مراكش إلى مدن المغرب الأقصى الجنوبية :

- ١) طريق من مدينة مراكش إلى مدينة أغمات يقدر بانثي عشر ميلاً (٢٢.٢٦ كم)^(٨) . ثم يتجه إلى مدينة سجلماسة بمسافة تقدر بثمان

- (١) البكري : المغرب ص ١٥٤
 (٢) الإدريسي : نزهة المشتاق ج ١ ص ٢٤٦
 (٣) الإدريسي : نفس المصدر ص ٢٤٢
 (٤) الإدريسي : نفس المصدر ص ٢٤٤ ، محمد صبحي حلاق : الايضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل والاوزان الشرعية
 (٥) الإدريسي : نفس المصدر ص ٢٤٦ ، أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٢٣
 وتقدر مسافة أربعة أيام بـ ١٧٨.٠٨ كم (علي جمعة : المرجع السابق ص ٧٠)
 (٦) البكري : المغرب ص ١٤٧
 وقد قدر البكري المرحلة في هذا الطريق بستين ميلاً . (البكري : نفس المصدر ص ١٤٦) .
 (٧) الإدريسي : نفس المصدر السابق ص ٢٤٣ .
 (٨) الإدريسي : نفس المصدر ص ٢٣٣ . ويقدر الإدريسي المسافة بين أغمات وريكة وأغمات ايلان بستة أميال (٨.٦٨٨ كم) قدرها الفقهاء ١١.١٣ كم. (الإدريسي : نفس المصدر ص ٢٣٥ . علي جمعة : المكاييل والموازين الشرعية)

مراحل^(١) (٣٥٨.٨ كم) . ثم إلى مدينة درعة في جنوب المغرب الأقصى بمسافة تقدر بثلاث مراحل (١٣٣.٥٦ كم)^(٢).

ثم إلى منطقة السوس الأقصى في الجنوب الغربي للمغرب الأقصى على ساحل المحيط الأطلسي بمسافة تقدر بأربعة أيام (١٧٨.٠٨)^(٣). ويعتبر هذا الطريق من الطرق الهامة في مدن المغرب الأقصى الجنوبية ويقدر طول هذا الطريق من مدينة مراكش إلى نهايته في المغرب الأقصى بإحدى عشر مرحلة وأربعة أيام (٦٦٧.٨ كم).

(٢) طريق من مدينة مراكش إلى مدينة نفيس^(٤) في اتجاه الغرب ، يبدأ من مدينة مراكش إلى مدينة أغمات ثم إلى مدينة نفيس ومسافة هذا الطريق تقدر بنحو مرحلة (٤٤.٥٢ كم)^(٥).

(٣) طريق من مدينة نفيس يتجه للجنوب إلى منطقة بلاد السوس الأقصى بمسافة تقدر بخمسة مراحل (٢٢٢.٦ كم)^(٦).

(٤) طريق من مدينة سجلماسة إلى مدينة نول لمطة^(٧) في أقصى الجنوب الغربي للمغرب الأقصى بمسافة تقدر بثلاثة عشر مرحلة (٥٧٨.٧٦ كم) ويستمر الطريق لبلاد السودان عبر الصحراء^(٨).

(١) الإدريسي : نفس المصدر السابق ص ٢٢٦ ، أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٢٩ ويقدر ياقوت الحموي : المسافة بين سجلماسة ودرعة بأربعة فراسخ (الفرسخ= ثلاث أميال = ١٧٨.٣٧٦ كم) قدرت بـ ٢٢.٢٦ كم. (ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤٥١/٢ ، علي جمعة : المرجع سابق ص ٧٠)

(٢) الإدريسي : نفس المصدر السابق ص ٢٢٦

(٣) الإدريسي : نفس المصدر ص ٢٢٩ .

(٤) مدينة نفيس : مدينة صغيرة في اتجاه الغرب لأغمات ثم بلاد السوس الأقصى في الجنوب .

(لإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٢٩ .)

(٥) الإدريسي : نفس المصدر السابق ص ٢٢٣ ، مجهول : الاستبصار ص ٢٢٣ .

(٦) الإدريسي : نفس المصدر ص ٢٢٩

(٧) نول لمطة : بينها وبين ساحل المحيط الأطلسي ثلاثة أيام (١٣٣.٥٦ كم) وهي في أقصى جنوب

المغرب الأقصى بمنطقة السوس الأقصى (الإدريسي : نفس المصدر السابق ج ١ ص ٢٢١-

٢٢٤ ، علي جمعة : المرجع السابق ص ٧٠)

(٨) الإدريسي : نفس المصدر السابق والصفحات .

٥) طريق من مدينة سجلماسة إلى مدينة أزكى^(١) بمسافة تقدر بثلاثة عشر مرحلة (١٧٨٠.٧٦ كم)^(٢).

٦) طريق من مدينة سجلماسة إلى بلاد السودان مباشرة ، حيث من سجلماسة إلى مدينة اودغست^(٣) من براري السودان ، بمسافة تقدر بأربعين مرحلة (١٧٨٠.٨ كم) وقد وصفه البكري بأنه طريق طويل يتعرض من يسير فيه للعطش والرياح وحرارة الشمس^(٤) .

تلك هي الطرق البرية إلى ربطت مدن المغرب الأقصى وسلكتها قوافل التجارة والتي كان لها دور في الحركة التجارية بين مدن المغرب الأقصى^(٥).

• الطرق النهرية بين مدن المغرب الأقصى :

استخدمت بعض الأنهار في المغرب الأقصى للنقل بين المدن وبعضها البعض أو بين المدن والبحر المتوسط أو المحيط الأطلسي ، واستخدمت في نقل التجارة .

وقد أهتم الموحدون بأنهار المغرب الأقصى وذلك بإقامة القناطر والجسور الدائمة أحياناً أو المتحركة (عن طريق المراكب لتسهيل العبور عليها) لاختصار الطرق بين المدن الواقعة على الأنهار . فقد أقام الخليفة عبد المؤمن بن علي (٥٤١ - ٥٥٨ هـ / ١١٤٥ - ١١٦٣ م) جسراً بين مدينة سلا والمهدية^(٦) على نهر أبو الرقراق^(٧) ، ولكن هذا الجسر تهدم ثم قام بينائه الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور (٥٨٠ -

(١) أزكى : آخر مدن المغرب الأقصى في الجنوب بعدها الصحراء الكبرى الفاصلة بين المغرب الأقصى وبلاد السودان ، وتقدر المسافة بين نول لمطة وأزكى بسبع مراحل (٣١١.٦٤ كم) .

(الإدريسي : نفس المصدر ج ١ ص ٢٢٥ ، علي جمعة : المرجع السابق ص ٧٠)

(٢) الإدريسي : نفس المصدر ص ٢٢٥ .

(٣) سبق أن عرفت مدينة اودغست في البحث ص ٤٥ من نفس الفصل .

(٤) البكري : المغرب ص ١٥٦ - ١٥٩ ، علي جمعة : المرجع السابق ص ٧٠ .

(٥) الإدريسي : مصدر سابق ص ١٠٥ - ١٠٧ .

(٦) المهديّة: اختطها عبد المؤمن بن علي أمام مدينة سلا على الشط الجنوبي للنهر وساحل المحيط.

(عماد الدين إسماعيل : تقويم البلدان ص ١٣١)

(٧) نهر أبو الرقراق : يتجه للغرب ، ويصب في المحيط الأطلسي بين مدينة سلا والمهدية .

(الحسن الوزان : وصف أفريقيا ص ٢٠٧ - ٢٠٩) .

٥٩٥ هـ / ١١٨٤-١١٩٩ م) لم تؤثر فيه أمواج البحر المحيط^(١) .

-- أنهار مدن المغرب الأقصى الشمالية :

١- نهر الخليج يقع شرقي مدينة طنجة ويصب في البحر المتوسط وهو نهر تدخله المراكب التجارية^(٢) .

٢- وفي شرق مدينة سبتة عند مدينة تطوان^(٣) وادي مكسة يصب في البحر المتوسط ، تدخله المراكب اللطاف ، وتقدر المسافة من البحر إلى النهر بعشرة أميال (٨.٥٥ كم) عند مدينة تطوان^(٤) .

٣- وشرقي مدينة مليلة على ساحل البحر المتوسط ، وادي ملوية الذي يعتبر الحد الشرقي للمغرب الأقصى^(٥) .

٤- وفي جنوب مدينة قصر عبد الكريم ، نهر لوكس يستخدم في نقل البضائع، ويصب في البحر وتقدر مسافته بثلاثة أميال (٥.٥٦٥ كم)^(٦) .

٥- وفي شمال غرب مدينة البصرة^(٧) نهر سفد يصب في المحيط الأطلسي

ويستخدم في النقل حيث تدخله المراكب الأندلسية التي تحمل الغلات إلى الأندلس^(٨)

(١) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ص ٤٤٩ وما يليها ، مجهول : الاستبصار ص ١٤١
وقد بني الخليفة أبو يوسف المنصور جسراً على وادي أم الربيع جعل له قنطرة من القوارب المصنعة من الأخشاب- مثبتة بألآت في الماء " . (ابن صاحب الصلاة: نفس المصدر ص ٤٤٣)
(٢) البكري : المغرب ص ١٠٨ ، الحميري : الروض المعطار ص ٣٩٦ ، مجهول : الاستبصار ص ١٧٩)

(٣) تطوان : مدينة صغيرة بناها الأفارقة قديماً على مسافة ثمانية عشر ميلاً تقريباً (٣٢.٣٩ كم) من البحر المتوسط . (الحسن الوزان : وصف أفريقيا ج ١ ص ٣٢٠).

(٤) البكري : نفس المصدر السابق ص ١٠٧

(٥) الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٤٧ ، الحسن الوزان : نفس المصدر السابق ص ٣١٣

(٦) الإدريسي : نفس المصدر السابق ص ٢٤٦ . علي جمعة: مرجع سابق ص ٧٠

(٧) البصرة : مدينة صغيرة، وقد بنيت في سهل على يد محمد ابن إدريس الثاني سنة ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م على مسافة ثمانين ميلاً (٤٨.٤ كم) من فاس وجنوب القصر بعشرين ميلاً (٣٧.١٠٠ كم) وقد سميت البصرة تخليداً للبصرة في العراق .

(الحسن الوزان : وصف أفريقيا ج ٢ ص ٣١٠ . علي جمعة : المرجع السابق ص ٧٠)

(٨) الإدريسي : نزهة المشتاق ج ٢ ص ٥٣٠ ، ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨١

٦- وفي مدينة فاس نهر سبو وهو نهر كبير يحاذي المدينة من شرقها ويصب في المحيط^(١). وقد أقام عبد المؤمن بن علي الموحدى دار لصناعة المراكب على النهر^(٢).

٧- ومن مدينة أصيلة^(٣) يخرج نهر كبير يصب في المحيط الأطلسي ، تدخله المراكب من المحيط إلى المدينة بالرياح الغربية ، وتخرج من المدينة للمحيط بالرياح الشرقية^(٤).

٨- وعند مدينة سلا والمهدية يصب نهر أبو الرقراق في المحيط الأطلسي^(٥).

- أنهار مدن المغرب الجنوبية :

١- عند مدينة أزموور يصب وادي أم الربيع في المحيط الأطلسي^(٦).

٢- وشمال مدينة مراكش يجرى نهر تانسيفت على مسافة ثلاثة أميال (٥٠.٥٦٥ كم) وهو نهر صغير دائم الجريان^(٧).

• الطرق البحرية في المغرب الأقصى :

وكان ابن ميمون قائد الأسطول الموحدى يبعث بالأسارى والعلوج إلى الخليفة أبي يعقوب الموحدى^(٨).

ومن المميزات التي تمتع بها المغرب الأقصى انه يطل على ساحلين هما :

ساحل البحر المتوسط ، وساحل المحيط الأطلسي . ولذلك كان لموقع المغرب الأقصى أثره في نشأة العديد من الموانئ التي ساهمت بدورها في تسهيل الاتصال بالعالم الخارجى ، وفي زيادة النشاط التجارى .

(١) الإدريسي : نفس المصدر ج ١ ص ٢٤٧ ، الحسن الوزان : نفس المصدر ص ١١٣

(٢) الحسن الوزان : نفس المصدر ص ٢١٠

(٣) أصيلة: مدينة تقع غرب مدينة طنجة، على ساحل المحيط الأطلسي(البكري: المغرب ص ١١٣)

(٤) البكري : نفس المصدر ص ١١٣

(٥) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ص ٤٤٩ وما يليها ، الحسن الوزان : وصف أفريقيا ص

٢٠٧- ٢٠٩

(٦) الحسن الوزان : نفس المصدر ص ١٦٦ .

(٧) الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٣٥ ، علي جمعة : المرجع السابق ص ٧٠

(٨) ابن خلدون : العبر ، الجزء السادس ، صفحة ٢٤٣ .

فكان التجار يحملون الذهب والصمغ من السودان إلى أسواق الأندلس ومنها إلى أوروبا وحوض البحر المتوسط^(١) . فكانت السفن تنقل سلع المغرب إلى الأندلس والعكس ، على مدار العام في الصيف والشتاء^(٢) .

فبرزت موانئ على البحر المتوسط مثل باديس^(٣) ومليلة وسببة وطنجة وكان لها دور في الحركة التجارية و لعبت دوراً في الصادر والوارد من السلع على المغرب الأقصى^(٤) .

ونشطت موانئ على المحيط الأطلسي مثل سلا^(٥) واسفي^(٦) ورباط قوز^(٧) وازمور^(٨) وأغادير^(٩) وماسة^(١٠) ونول لمطة^(١١) .

(١) البكري : المغرب ص ١٥٨

(٢) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ص ٢٦٤- ٢٦٥

(٣) باديس : مدينة على ساحل البحر المتوسط من منطقة أريف شمال المغرب الأقصى .

(الحسن الوزان : نفس المصدر ص ٣٢٧)

(٤) الحميري : الروض المعطار ص ٧٥ ، ٥٤٥ ، ابن سعيد : كتاب الجغرافيا ص ١٣٩- ١٤٠ ،

العمرى : مسالك الأبصار ص ١٣٧

(٥) سلا : ميناء على المحيط الأطلسي . (الحسن الوزان : مصدر سابق ص ٣٠٨ ، مارمول

كرفجال : أفريقيا ج ١ ص ٤٨٩ ج ٢ ص ١٣٥)

(٦) اسفي : مدينة على ساحل المحيط الأطلسي قديمة من منطقة دكالة . (الحسن الوزان : مصدر

سابق ص ١٥٧)

(٧) رباط قوز : ميناء على المحيط الأطلسي ، ويعتبر ساحل لأغامت تنزل السفن إليه من جميع

البلاد . (البكري : المغرب ص ١٥٣)

(٨) أزمور : على ساحل المحيط الأطلسي في منطقة دكالة عند مصب نهر أم الربيع . (الحسن

الوزان : مصدر سابق ص ١٦٦)

(٩) أغادير : قلعة واقعة عند النهاية القصوى لجبال أطلس التي تتقدم على المحيط قرب المكان الذي

يصب فيه نهر السوس في المحيط الأطلسي (الحسن الوزان : مصدر سابق ص ١٣٠)

(١٠) ماسة : مدينة أسسها الأفارقة على شاطئ المحيط ، وتتكون من ثلاثة مدن صغيرة تبعد كل

منها عن الأخرى بنحو ميل . وتقع هذه المدن الصغيرة وسط غابة من النخيل هي من الموارد

الرئيسية للمدينة ويمر بالمدينة نهر اليبوس الكبير ، ولذلك فاغلب أهل المدينة من الفلاحين .

(الحسن الوزان : وصف أفريقيا ج ١ ص ١١٥)

(١١) نول لمطة : تقع في أول الصحراء على نهر كبير يصب في البحر المحيط (المحيط

الأطلسي) بينها وبين وادي السوس الأقصى ثلاث مراحل(١٣٣.٥٦كم) ، منها إلى البحر المحيط

ثلاثة أيام(١٣٣.٥٦كم) وبينها وبين سجلماسة ثلاث عشرة مرحلة(٥٧٨.٧٦كم) ، وبينها وبين

درعة نحو ثلاثة مراحل(١٣٣.٥٦كم) ، وهي آخر بلاد السوس . (الحميري : الروض المعطار

ص ٥٨٤ ، علي جمعة : المرجع السابق ص ٧٠)

وكانت هناك بعض النظم المتبعة في الموانئ التجارية لتوفير أقصى قدر من الحماية والأمان للتجار القادمين للموانئ المغربية ، ولتسهيل عمليات التبادل التجاري. ولذلك كان يجب أن تتوافر بعض الإجراءات الإدارية منها وجود رئيس إدارة النحر ، وكانت له سلطات هامة يساعده في ذلك أعوان مختصون فكان هو المسئول عن جمع الضرائب والمكوس بالموانئ ، ومعه أجهزة الشرطة والقضاة لحفظ النظام ، ومواجهة الإشكالات التي تنشأ مع التجار ، والحمالين لشحن السلع أو إنزالها من السفن . وعلى الرغم من أن الفنادق هي المخازن الرئيسية للسلع الواردة إلا أن جزءاً منها كان يخزن في المخازن الموجودة بالموانئ^(١) .

وكانت عمليات البيع والشراء تتم في الغالب داخل الموانئ وان كانت في بعض الأوقات تتم في الفنادق ، ويكون البيع عن طريق المزاد العلني ، وكانت إدارة الميناء تقوم بتوفير المترجمين في حالة وجود تجار أجانب لمساعدة البائع والمشتري . وكان المسئول عن الميناء يتولى الإشراف على سداد رسوم البيع ، كما يوجد كاتب خاص بتوثيق عمليات البيع والشراء ، ويوثق الأموال المفروضة على الواردات والصادرات^(٢) .

وفي حالة وجود أي خلاف بعد إتمام العقد ، كان بإمكان التاجر الأجنبي أن يلجأ إلى قاضي المدينة لاسترداد حقه ، وإذا كانت هناك مشكلة بين التجار الأجانب فقد كان قناصلهم مكلفين بالنظر فيها^(٣) .

ولذلك كان يجب أن يتم البيع والشراء للتجارة الواردة في الموانئ ، ولكن فسي حالة تعذر ذلك فإن عملية البيع والشراء تتم أمام شاهدين ، وكان الشهود يحصلون على نسخ من شهادتهم^(٤) . وقد ذكر (ماس لاتري) أن المسئول عن الميناء هو من

(١) عيسى بن الذيب : مرجع سابق ، ص ١٣٢

(٢) De Mas Latria ,(L.): Relations et commerce de L'Afrique septentrionale avec les nations chretiennes au moyen age librairie de firmin di dot Paris ,1886.p.185-186.

(٣) مارمول كرفجال : أفريقيا ج ٢ ص ١٤٣ ، عاشور بوشامة : علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، ١٩٩١م ، ص (٣٤١)

(٤) طاهر احمد مكي : معاهدة تجارية من القرن الخامس عشر الهجري بين سلطان مصر وملك أرغون . مجلة المجلة ، عدد ٤٩ يونيو ويوليو سنة ١٩٦٠ ، ص ٩٤

يحدد ساعة إغلاق الميناء والساعات التي يمكن للتجار الصعود أو النزول من مراكبهم إلى أرصفة الميناء^(١) .

وكانت مكاتب جباية "المكوس" موجودة في جميع الموانئ التي يسمح للتجار النصارى بالنزول إليها، فكان على التجار دفع المكوس على السلع التي يتاجرون بها. فكان إيراد ميناء سبتة من المكوس في اليوم يتراوح بين خمسمائة إلى سبعمائة دينار وفي بعض الأحيان كان يصل إلى ألفي دينار في اليوم^(٢). وكان من أبرز الضرائب المفروضة على التجار في الموانئ ضريبة "الإعشار" التي كانت القاعدة المتبعة فيها تقضى بان يدفع التاجر المسلم ربع العشر والذمي نصف العشر ويدفع القادم من بلاد الحرب عشرًا كاملاً^(٣) .

وكان من بين أوجه دعم التجارة ، إصدار قرارات تقضى برفع الضرائب المفروضة على بعض السلع لتشجيع التجار على توفير تلك السلع لاسيما في أوقات القحط التي تتعرض لها البلاد^(٤) .

وهكذا كانت الطرق من العوامل الهامة في التجارة ، حيث عن طريقها يتم نقل البضائع والسلع والتجار إلى الأسواق الداخلية أو الأسواق الخارجية.

(١) Mas latrie : Relation et commerce.p.195.

(٢) المقرئ : أزهار الرياض في أخبار عياض ، ج٣ ، ضبطه وحققه وعلق عليه مصطفى السقا وآخرون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٤٠م ، ص ٤٢-٤٤

(٣) يعقوب بن ابراهيم (أبو يوسف) : كتاب الخراج ، تحقيق محمود الباجي ، دار سلامة للطباعة والنشر ، تونس ، ١٩٤٨م ، ص ١٣٥-١٤٠

(٤) ابن أبي زرع : روض القرطاس ص ٣٧٥ ،

